(١٤)

يهودية وصهيونية

(١)

لا تبعدوا اليهودية والإسلام عن المعركة

التنادي بالإسلام هو صيحة النجاة

العدد (٥٦) شعبان (١٣٨٩هـ) شهر أكتوبر (١٩٦٩م)

إن وسائل الإعلام في الأمة العربية حريصة أشد الحرص على أن تفرق بين اليهودية والصهيونية، وعلى أن تجعل القارئ أو المستمع العربي يقصي الدين إقصاء عن الصراع الدائر اليوم على اغتصاب فلسطين وما حولها..

ولا يخفى خطر هذا المسلك، وبعده عن التاريخ والواقع، وتخذيله لوسائل الدفاع التي ينبغي توفيرها في وجه هجوم ديني حاقد!

إن الصهيونية ليست وليدة بحث اليهود عن وطن لهم بعدما أحسوا وحشة الغربة في أرض الله الواسعة، كلا، فقد وسعتهم بلدان شتى، وعاشوا فيها جزءًا من أبنائها الأصلاء، ووصلوا إلى درجة فاحشة من الثراء، ومناصب كبيرة في الحكم، ولكنهم رجحوا نداء دينهم على علاقاتهم بأوطانهم، وآثروا التجاوب مع توراتهم وتلمودهم على الذوبان في الوطنية الأمريكية أو الألمانية أو الروسية أو المصرية أو العراقية.

سيرتهم في مختلف القارات واحدة، ونزوعهم إلى خدمة عنصرهم وحسب، ديدنهم في كل مكان وزمان..

لقد عاش اليهود ملوكًا بيننا نحن المصريين في أواسط هذا القرن، فلم تركوا مصر إلى إسرائيل؟ فرارًا من اضطهاد؟ إنه نداء الدين وحده.

وهم الآن يحيون ملوكا في أمريكا وفي أوروبا الغربية، ولكنهم عرضوا مصالح الأوطان التي وسعتهم للبوار.

في سبيل ماذا؟ في سبيل إسرائيل، في سبيل دولة دينية تجمعهم في سبيل الملك الذي تهفو إليه ضمائرهم، ويتلون آياته في صحف العهد القديم على أنه وعد الله الذي لا يتخلف لهم ولذراريهم من بعدهم..

إن الصهيونية ليست نزعة سياسية تولدت عن الاضطهاد النازي في ألمانيا..

فإن اليهود قبل هذا الاضطهاد بسنين أو بقرون كانوا يحلمون بامتلاك فلسطين وطرد أهلها منها أو إبادتهم فيها..

ونحن لا نقر في العالم أجمع أي تفرقة جنسية، ولكن مسلك اليهود في ألمانيا كان هو السبب الأول في إهاجة الألمان عليهم وإيقاع المذابح الشائنة بهم.

لقد ظهر أن ولاء اليهود لأوطانهم الرسمية مزيف، وأن ولاءهم الأول هو لجنسهم وتاريخهم وأمانيهم الحرام في حقوق الآخرين.

وربما تعرض اليهود في أمريكا بعد سنين معدودة لمثل ما تعرض له أسلافهم في ألمانيا النازية عندما يصحو الأمريكيون فيجدون أن مصالحهم في العالم العربي والإسلامي قد تلاشت لأن يهود أمريكا قد باعوا هذه المصالح في سبيل قضاياهم الخاصة..

والمهم ونحن نواجه معركة الحاضر والمستقبل أن نحذر من الببغاوات التي تردد بغباء كلمات لا تفهمها وتريد بجهلها الغالب إبعاد اليهودية والإسلام عن المعركة، مع أن المعركة لا تعني إلا القضاء على الإسلام لحساب القوى المعادية له..

إننا لقينا العنت من أولئك الشامخين بجهلهم، سواء كانوا في الصحف

أو الإذاعات، أو المسارح، وظاهر أنهم ثمار الاستعمار الثقافي لبلادنا، ذلك الاستعمار الناقم على الإسلام وحده، الحريص على تربية أجيال تكره شرائعه وفضائله، وترفض مناسكه وشعائره، وتنسى ماضيه وحاضره.

تلك هي الأجيال التي وقفت في ميدان السياسة تصف الغزو اليهودي لفلسطين بأنه حركة عنصرية، أو عدوان محلي، أو تعاون بين الامبريالية والصهيونية، أو تآمر رأسمالي على حركات التحرر الحديث، أو غير ذلك من الترهات التي أتقنها الجهل المستكبر الفاشي هنا وهناك..

ولو أن واحدًا من هؤلاء ذهب إلى أقرب مكتبة، ودفع قروشًا قليلةً أو كثيرة، واشترى العهد القديم وحده، أو الكتاب المقدس كله، ثم كلف خاطره القراءة فيه لوجد التخطيط الديني لإسرائيل الكبرى واضحًا في صحائفه، ولوجد الكفن يلف رفات العرب منسوجًا من كلماته، ولوجد حرب الإبادة التي تعرض لها قومه ناضحة بين سطوره.

إن مؤامرة الاستعمار في القرون الأخيرة خلع العرب من دينهم في الوقت الذي يتحمس فيه كل ذي دين لدينه..

إن صحف العهد القديم لم تكتف بحداء بني إسرائيل كي يجيئوا من كل مكان إلى فلسطين، بل صورت لهم البقاع التي ينزلون بها، والحدود التي تفصل كل سبط عن أخيه!

ووزعت عليهم دمشق وحماة وبيروت وعشرات من البلاد الواقعة قرب البحر المتوسط..

اقرأ هذه السطور من سفر حزقيال:

لذلك هكذا قال السيد الرب: الآن أود سبي يعقوب وأرحم كل بيت إسرائيل، وأغار على اسمي القدوس، فيحملون ضربهم وكل خيانتهم التي خانوني إياها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف.

عند إرجاعي إياهم من الشعوب، وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم، وتقديسي فيهم أمام عيون أمم كثيرة. يعلمون أني أنا الرب إلههم بإجلائي إياهم إلى الأمم ثم جمعهم إلى أرضهم، ولا أترك بعد هناك أحدا منهم، ولا أحجب وجهي عنهم بعد، ولأني سكبت روحي[١] على بيت إسرائيل يقول السيد الرب..

الإصحاح الأربعون

في السنة الخامسة والعشرين من سبينا، في رأس السنة، في العاشر من الشهر، في السنة الرابعة عشرة بعدما ضربت المدينة..

في نفس ذلك اليوم كانت على يد الرب وأتى بي إلى هناك..

في رؤى الله أتى بي إلى أرض إسرائيل ووضعني على جبل عال جدًا عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب ولما أتى بي إلى هناك إذا برجل منظره كمنظر النحاس، وبيده خيط كتان وقصبة القياس وهو واقف بالباب.

فقال لي الرجل: يا ابن آدم: انظر بعينيك واسمع بأذنيك واجعل قلبك إلى كل ما أريكه، لأنه لأجل إرادتك أتى بك إلى هنا.

أخبر بيت إسرائيل بكل ما ترى.

وإذا بسور خارج البيت محيط به وبيد الرجل قصبة القياس ست أذرع طولًا بالذراع وشبر..

فقاس عرض البناء قصبة واحدة وسمكه قصبة واحدة، ثم جاء إلى

---

(١) عاش حزقيال، مؤلف هذه الإصحاحات، أيام المحنة الأولى لبني إسرائيل بعد أن فسدوا فسلط الله عليهم بختنصر، وجنوده فاجتاحوا البلاد ودمروا الهيكل، وساقوا أمامهم عشرات الألوف من اليهود أسرى، وقد عزى الرجل قومه بهذه الكلمات، وملأ روعهم أنهم متخلصون من الأسر البالي وعائدون إلى بلادهم، وقد عادوا فعلًا لكنهم سرعان ما زاغوا وطردوا من فلسطين، وقد عادوا ثالثة يحملون آثامهم الأولى ومشاعرهم القديمة، وسوف يتم طردهم إن شاء الله ولو بعد حين.

الباب الذي وجهه نحو الشرق وصعد في درجة، وقاس عتبة الباب قصبة واحدة عرضا والعتبة... الخ الخ الخ.

الإصحاح الأربعون والحادي والأربعون والثاني والأربعون حيث ينتهي وصف قياس بيت الهيكل.

الإصحاح الثالث والأربعون

«ثم ذهب بي إلى الباب، الباب المتجه نحو الشرق وإذا بمجد إله إسرائيل جاء في طريق الشرق وصوته كصوت مياه كثيرة والأرض أضاءت من مجده».

«وقال لي يا ابن آدم هذا مكان كرسيي، ومكان باطن قدمي، حيث أسكن في وسط بني إسرائيل إلى الأبد ولا ينجس بعد بيت إسرائيل اسمي القدوس، لا هم ولا ملوكهم».

الإصحاح الخامس والأربعون

وإذا قسمتم الأرض ملكا تقدمون تقدمة للرب قدسا من الأرض طوله خمسة وعشرون ألفا طولا والعرض عشرة آلاف.

الإصحاح السابع والأربعون

هكذا قال السيد الرب، هذا هو التخم الذي به تمتلكون الأرض بحسب أسباط إسرائيل الاثني عشر، يوسف قسمان، وتمتلكونها أحدكم كصاحبه على الهيئة التي رفعت يدي لأعطي آباءكم إياها وهذه الأرض تقع لكم نصيبًا.

وهذا تخم الأرض:

نحو الشمال من البحر الكبير طريق حثلون إلى المجيء إلى صدد:

حماة وبيروتة وسترائيم التي بين تخم دمشق وتخم حماة وحصر الوسطى التي على تخم حوران.

ويكون التخم من البحر حصر عينان تخم دمشق والشمال شمالاً، وتخم حماة وهذا جانب الشمال، وجانب الشرق بين حوران ودمشق وجلعاد وأرمن اسراشيل الأردن من التخم إلى البحر الشرقي نفيسون، وهذا جانب المشرق وجانب الجنوب يمينا من ثامار إلى مياه مريبوث قادش النهر إلى البحر الكبير. وهذا جانب اليمن جنوبًا.

وجانب الغرب البحر الكبير من التخم إلى مقابل مدخل حماة، وهذا جانب الغرب فتقتسمون هذه الأرض لكم لأسباط إسرائيل».

هكذا وضع أنبياء بني إسرائيل الأقدمون خطة تمزيق العرب، وتقسيم تراثهم على أسباط إسرائيل.

وقد نقلت هذه السطور من العهد القديم، وإن كنت لم أفهم أغلب الأسماء[1] التي تحدد تخوم الأرض أو توضح اتجاهات الزحف اليهودي كما أوصى به كاتبو ذلك العهد..

ويظهر أن الهود لخصوا المراد في الجملة المشهورة «أرض إسرائيل من الفرات إلى النيل» وهم أدرى بما في كتبهم المقدسة، وأدرى بما يعنيه حزقيال متلقي هذه الخريطة عن الوحي الإلهي كما يدينون..

وأريد أن أقول باسم الإسلام المستوحش المكتئب كلمة حاسمة..

كلمة سوف تبدو غريبة على الآذان التي طمسها الهوان والإذلال أمدًا طويلًا، والتي مرنت على سماع الزور والباطل وحده.

إن الدين قد انتقل انتقالة واسعة عن المفهوم البدائي الضيق الذي ألفه الإسرائيليون، مفهوم الهيكل، ومملكة الرب، والشعب المختار، وحكم العالم باسم رب الجنود عن طريق حكماء صهيون أو بيت إسرائيل..

---

(١) حبذا لو عني المؤرخون العرب بوضع فهرس مقارن شامل لهذه الأعلام القديمة، حتى يلقوا ضوءا على هذه المسميات

إن هذه الكلمات المصورة لمعنى الدين أليق بالعهد البدائي الذي كانت قبائل إسرائيل فيه تغدو وتروح بقيادة رعاة محليين يؤدون واجبهم حينا، أو يقتلون قبل هذا الأداء المفروض.

لقد أصبح للدين مفهوم أرحب، ليس فيه هيكل مقدس، ولا شعب مختار ولا أدب محتكر.

حقيقة هذ الدين أن الله رب العالمين أجمعين على سواء.

وأن التقدم عنده ليس بالنسب ولا بالادعاء بل بالخلق الزكي والتقوى المهيمنة، لا كهانة هناك ولا تهاويل ولا هياكل..

شيئان فقط هما أساس العلاقة بين الله الأحد، وبين كل إنسان يمشي على قدميه في القارات الخمس: الإيمان والعمل الصالح.

إن محاولة بني إسرائيل مسخ مفهوم الدين على النحو الذي جمدوا عليه من عشرات القرون جريمة فاحشة لا يمكن قبولها..

لقد جاء عيسى ابن مريم ليكسر القيود الصلبة التي أراد بنو إسرائيل حبس الدين داخلها.

وكان مجيئه تمهيدًا للرسالة الخاتمة التي مزجت الدين بكل أشواق الإنسانية الرفيعة في الإيمان المهدى والأخوة العامة، حيث لا مكان للتسامي إلا بالقلب السليم والفكر السليم..

نعم بعث الله محمدًا مسويًا بين أجناس البشر في الولاء للحي القيوم مسقطًا كل سلطان مفتعل في ميدان الروح أو في ميدان المال..

فإذا أراد بنو إسرائيل أن يلحقوا بقافلة الإنسانية الحرة المتآخية فلا بد أن يؤمنوا بعيسى ومحمد وإذا كانوا حراصا على استعادة مجدهم القديم فطريق الخلاص مفتوحة أمامهم، ولكي يعرفوها جيدًا قال الله ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ

وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤١﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ ...﴾(**البقرة**: ٤٠، ٤١).

إن بني إسرائيل يحلمون أن يحكموا العالم من هيكلهم وهم مصرون على تصديق ما لديهم وحده وتكذيب كل ما جاء به عيسى ومحمد.. وما لديهم مزيج من وحي الله وهوى الأنفس.

ولو افترضنا جدلًا أنه حق لا ريب فيه، فإن الوقوف عنده وحده، ونبذ ما أوحى الله بعده مسلك لا تصلح به الدنيا ولا يسعد به عباد الله..

ومن هنا اشترط الإسلام أن يكون الإيمان بكتب الله كلها، ورفض ما سوى ذلك من إيمان مبتور فقال جل شأنه ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ (**المائدة**: ٦٨).

وعلى لسان موسى- كبير أنبياء بني إسرائيل- ذكر ربنا جل جلاله أن أبواب رحمته مفتحة لعباده، وأن الصلحاء الأتقياء يستطيعون دخولها متى شاءوا، فعندما دعا موسى ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ...﴾(**الأعراف**: ١٥٦) كان الجواب الإلهي له ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ (**الأعراف**: ١٥٦ ، ١٥٧).

إن قيادة العالم باسم الله ليست مهمة سهلة يستطيعها اليهود بمهارتهم المالية وألاعيبهم الشيطانية، وتسخيرهم للشعوب المفرطة وانتهازهم للفرص

المتاحة.. وقد نبأ القرآن الكريم أن التاريخ اليهودي سيتفاوت بين مد وجزر، ومعصية وطاعة وهزيمة ونصر.

قال لهم بعد هدم الهيكل الأثير ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ...﴾ (**الإسراء**: ٧) وقال لهم أيضًا ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا...﴾(الإسراء: ٧). أي إن عدتم للفساد عدنا للانتقام.

وقد عاد اليهود إلى فلسطين- لأسباب شتى- فكيف عادوا؟ وما هي مثلهم العليا، وما مواقفهم من وصايا الله للنبي الخاتم والنبي الذي سبقه وبشر به؟

لقد عادوا متشبثين بما لديهم وحده مكذبين لكل ما جد بعد..

وكسبوا نصرًا بعد نصر على من؟ على أوزاع من العرب جهلوا رسالتهم، ونسوا تاريخهم، وعاشوا في دنيا الناس أذنابًا، وعن كتاب الله وهدى نبيه غرباء..

إن مجموعة الشعوب الإسلامية تشعر بجزع مر لا للحروب التي جرت بين العرب واليهود، ولكن للطريقة التي جرت بها هذه الحروب، ولظاهر الانحلال والفسق عن أمر الله التي ملأت جوها..

كان العرب أزهد الناس في كتابهم، وكان اليهود ألصق الناس بتوراتهم.. كان اللص متحمسًا في الهجوم، وكان رب البيت باردًا في الدفاع..

وبلغ من نجاح الغزو الثقافي لبلادنا أن الحرب تعلن علينا لفرض دين، واجتياح أمة، ومع ذلك تتبارى وسائل الإعلام في تضليل الفكر العربي، وتصف هذه الحرب بأي شيء إلا أنها تتصل بالدين..

ولم ذلك؟ حتى لا يستيقظ الوعي الإسلامي العارم، وتتجاوب الأصداء بضرورة العودة العامة الجادة إلى الإسلام لوقف هذا الفناء القادم.

لكن آمالنا أن غرائز الأمم تصحو لملاقاة الخطر الداهم، وأن التنادي بالإسلام سوف يكون اليوم صيحة النجاة.

وسوف يكون غدًا صيحة النصر..

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (**النمل: ٩٣**).